

خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل



29. تجارب الأيّام ستعلـّمنا

3 ربيع الأول 1380هـ الموافق 26 أوت 1960م

الـحمد لله الـمبدع فـي ملكه ما تتحيّر له الألباب، والـمسيّر لأنواع الـحوادث الّتي جعلها موقوفة علـى سلسلة من الأسباب، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، القاهر الّذي خضع لسلطانه كلّ مـخلوقاته، كمـا قال جلّ ذكره في كتابه: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْـحَكِيمُ الْـخَبِيرُ} الأنعام: 18، وأشهد أنّ مـحمّدًا عبده ورسوله، الّذي أجرى علـى يديه أكبر الـمعجزات فـي الأرض، فأفحم بها خصومه وأعداءه، وحيّر بها عقولـهم وأفكارهم، وأبطل بذلك بهتانهم وادّعاءهم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلـى آله وأصحابه الّذين أذعنوا لدين ربّهم، وصدّقوا برسالة نبيّهم، حتّى أكرمهم الله بالعزّة والسّيادة، فكانوا أوّل الفائزين.

أمّا بعد: فكلّمـا تـجدّدت الأيام إلّا واستفدتم منها خبرة وأنواعًا عديدة من التّجارب، وكلّمـا تأخّرت مطالبكم إلّا وعرفتم سرّ هذا التّأخير وحكمة التّسيير، والله -جلّ شأنه- لـم يكن ليضيع إيمـانكم، أو يترككم وشأنكم، ولكنّه مطّلع علـى نواياكم، وعارف جميع أحوالكم، وخبير بمـا يناسب ظروفكم ومستقبل حياتكم.

والآن أصبحنا نعرف جميعًا مكانتنا فـي هذه الـحياة، ومقدرتنا فـي تسيير شؤوننا، وما يتطلّبه الواجب الدّينيّ والدّنيويّ من التّقدّم الفكريّ والتّدريب العمليّ، ولا يضيرنا التّأخير عن بلوغ تلك الـمرامي العليا إذا حسنت النّوايا، وقويت العزائم.

واليوم -أيضًا- نعرف أنّنا قد ركبنا فـي سفينة مشتركة فـي سبيل تلك الـمبادئ السّامية فـي أيّام مظلمة حالكة، شديدة العواصف، متلاطمة الأمواج، ولكنّنا لـم نزل نخوض عباب ذلك البحر، ونغالب أمواجه وأهواله، حتّى يكتب الله لنا ذلك التّأييد الـمنتظر، ونخرج من هذه الـملحمة إلـى شاطئ النّجاة.

وهذا نوع من التّدريب لـمقدّمة الـحياة، قد جرّبه من كان قبلنا، وكنّا نطالع ونسمع عنه، كأنّه طيف من الـخيال ليس له صلة بالـحقيقة والواقع –فـي نظر الكثير منّا–، ولكن الآن باشرناه بأنفسنا، وذقنا حلوه ومرّه، وعرفنا كذلك ما هي الـحياة؟ وما سرّ هذا الدّين؟ وما قيمة هذا الواجب؟ وإن كنّا قد عرفنا بعض الشّيء من التّجارب فلا تزال غائبة عنّا أشياء كثيرة؛ لأنّ الله –جلّ ذكره– يقول: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} الإسراء: 85.

ولكن تداول الأيام، وتقلّبات الـحوادث ستطلعنا علـى بعض الأسرار، وستعطينا نوعًا من الدّراسة علـى ما يـجري فـي هذا الكون، علّنا نزداد إيمـانًا بديننا، وتـمسّكًا بمبادئنا، وقوّة فـي إرادتنا وتسيير أعمـالنا.